لِسَانِيَّاتُ التُّراثِ فِي ضَوءِ المُقَارَبَةِ اللِّسَانِيَّةِ الْوَصْفِيَّةِ الْعَرَبِيَّةِ الْمُعَاصِرَةِ مُقَارَبَة" تمَّام حسَّان" أُنموذجا

د/ محمَّد يزيد سالم
جامعة باتنة1- الحاج لخضر/ الجزائر

salemmohamedyazid@gmail.com

الخلاصة :

غنيٌّ عنِ البيان أنَّ التُّراث اللُّغوي العربيّ القديم يتميَّز بأنَّه نظامٌ فريدٌ من نوعه، ويستبين ذلك للعيان من خلال الدُّرر المكنونة التي تركها علماؤنا الأوائل. وقد رامَ دارسو التُّراث اللُّغوي العربي الانخراط في مشروع فكريّ عربيٍّ حديث حاول إبراز قيمة هذا الفكر، وإعطائه المكانة التي يستأهلها بعيدًا عن أي إسقاطات في فضاءات الفِكر اللّساني الحديث. وبذلك شكّلت الإسهامات اللّغويّة التراثيّة محورًا للمتابعة والبحثِ والاستقصاء، ومجالا خصبًا للجدل والمُجادلة عندَ الدَّارسين المحدثين، واختلفوا في طريقة تعاطيهم مع التراث اللّغويّ العربيّ بين فريقٍ مُقدِّسٍ لكلِّ ما جاء فيه، وفريقٍ آخر حاول تقديم قراءةٍ جديدةٍ له؛ متكئًا في ذلك على المُعطيات العِلميَّة والمنهجيَّة التي توصَّلت إليها أحدث الدّراسات اللّغويّة الغربية.

وعلى الرغم من الكمّ المعتبرِ من الأبحاث والدّراسات اللّسانيّة العربية التِي تختلف أسُسها المنهجيّة، وتتباينُ قيمتها العلميّة وتتفاوت؛ إلّا أنّها لم تستطع- في أغلبها- تجاوزَ مشكلة القبول لدى المتلقّي العربّي عموما، كما أنَّها- أي الدّراسات اللّسانيّة العربية-لم تتمكَّن من تأسيس خطابٍ لغويٍّ عربيّ واصفٍ مستقل قادر على التَّأثير والإقناع، ناهيك عن عدم قدرته على تحقيق صفة الوضوح والتَّجريد والشُّمولية.

في إطار الطرح أعلاه، سنتناول في بحثنا هذا أهمية مقاربة التراث اللُّغوي العربيّ من منظور لساني وصفي معاصر؛ وتحديدًا في ضوء مقاربة(تمام حسان) الوصفية؛ لأنَّ ذلك سيعين- دون شك- على إيجاد تحليلات علميَّة للتراث اللُّغويّ العربيِّ القديم تكون أكثرُ عمقا وشمولا.

The linguistics of heritage in the light of the contemporary descriptive Arabic approach The Tammam Hassan approach is a model

Dr. Muhammad Yazid Salem

University of Batna 1- Hadj Lakhdar/ Algeria

salemmohmedyazid@gmail.com

Abstract:

It goes without saying that the ancient Arab linguistic heritage is characterized as a unique system, and this is evident through the hidden pearls left by our first scholars. Students of the Arab linguistic heritage aimed to engage in a modern Arab intellectual project that tried to highlight the value of this thought, and give it the position it deserves, far from any projections in the spaces of modern linguistic thought. Thus, the traditional linguistic contributions constituted a focus for follow-up, research and investigation, and a fertile field for controversy and argument among modern scholars. Relying on the scientific and methodological data reached by the latest Western linguistic studies.

Despite the considerable amount of Arabic linguistic research and studies whose methodological foundations differ, and their scientific value varies and varies; However, for the most part, it was not able to overcome the problem of acceptance among the Arab audience in general, and it - that is, Arab linguistic studies - was not able to establish an independent descriptive Arabic linguistic discourse capable of influence and persuasion, not to mention its inability to achieve clarity, abstraction and comprehensiveness.

Within the framework of the above proposition, we will address in this research the importance of approaching the Arabic linguistic heritage from a contemporary descriptive linguistic perspective. Specifically in light of Tammam Hassan's descriptive approach; Because this will undoubtedly help in finding more profound and comprehensive scientific analyzes of the ancient Arab linguistic heritage.

1- الفِكْرُ اللُّغَوِيُّ العربيُّ القَدِيمُ وَعَلَاقَتُهُ بالفِكْرِ اللِّسَانِيِّ الحَدِيثِ:

بداءةً ينغي التَّنويه إلى أنَّ التُّراث اللُّغوي العربي يتوزَّع على جملة من الأركان هي:

- ✓ **مصنَّفات النَّحو:** نقصد هنا النَّحو بمفهومه الواسع والشَّامل لقواعد التَّركيب وبنية الكلمات وخصائص الحروف كما حدَّده سيبويه(ت 180هـ) منذ أنْ سنَّ كتابه.
- ✓ **أصول النَّحوِ:** وهو ميدان يُمثِّل تجاوز التَّفكير في أنظمة اللُّغة إلى البحث عن مُؤَسِّسَاتِها المبدئيَّة، فقد كان- أصول النَّحو- في التراثِ اللُّغويّ بمثابة البحث الايبستمولوجي في علم اللُّغة، وقد كان روَّادُه واعين ومُدركين بدرجة التَّنظير المُجرَّد الذي عليه عملهم.

يقول ابن جنّي(ت392هـ):" وهذا بابٌ طويلٌ جدًا، وإنَّما أفضى بنا إليه ذَرْوٌ من القولِ أحببنا استيفاءَهُ تأنُّسًا به، وليكون هذا الكتاب ذاهِبًا في وجهات النَّظر؛ إذ ليس غرضنا فيه الرَّفعُ، والنَّصبُ، والجرّ، والجزم؛ لأنَّ هذا أمرٌ قد فُرِغَ في أغلبِ الكتب المُصنَّفة فيه منهُ، وإنَّما هذا الكتابُ مبنيٌ على إثارة معادِنِ المعاني، وتقرير حالِ الأوضاعِ والمبادئِ، وكيف سرت أحكامُها في الأحْنَاءِ والحواشي"[1].

ويُعدُّ كتاب(الخصائص) لابن جنّي من أهم الرَّكائز التي يُعتمد عليها في علم أصولِ النَّحوِ إلى جانب(لُمع الأدلة) لابن الأنباري(ت577هـ) والإيضاح في علل النَّحو للزجاجي(ت337هـ).

وبذلك فقد مثَّلت" أعمال اللُّغويين والنُّحاة ما نُسمِّيه اليوم بالتُّراثِ النَّحويِّ اللُّغويِّ، تُراثٌ ثري قائم على فكرٍ ثاقبٍ، وقُدرةٍ عجيبةٍ على الصفِ والتَّحليل والاستنتاج والتَّأليف"[2].

- ✓ **الموروث البلاغي:** وهو من أغزر المواريث اللُّغويَّة العربيَّة على الإطلاق، وفي هذا الرُّكن أعلام بارزون منهم: الرُّماني(ت384هـ) والخطابي(ت388ه) والخفاجي(ت466هـ) والجرجاني(ت471هـ).
- ✓ **جملة المعاجم التي دُوِّنت في اللُّغة:** وقد كان أصحاب هذه المعاجم يتطرَّقُون في مُقدِّمات مصنَّفاتهم أحيانًا، وفي صُلبِ موادهم اللُّغويَّة أحيانًا أُخرى إلى جملة من القضايا الجوهريَّة في تقدير الظاهرة اللُّغويَّة[3].

ومن ثمَّة، فإنَّ معرفة التُّراث اللغويِّ العربيِّ معرفة صحيحة تستوجب من الباحثين في الثَّقافة العربيَّة" فهم تاريخها، وهذا من الجوانِب التي ظلَّت مهمَّشة في البحث اللِّسانيِّ العربيِّ، والمحاولات في هذا الجانِب شبه مُنعدمة، وهذا ما حدا بالباحثين إلى مُحاولة رأب الصَّدع بين اللِّسانيات في ثقافتنا وبين تاريخها بتتبُع مسارها بِدءًا من المراحل الأولى لتشكلها، ونعني بذلك المرحلة النَّهضويَّة حتى العصر الحديث"[4].

ومعلومٌ أنَّ للفكر اللُّغوي العربيِّ فضل السَّبق على اللِّسانيات الحديثة" في كثيرٍ من القضايا والمباحِث اللُّغويَّة، التي توصَّلت إليها مناهج البحث اللُّغويِّ الحديث، سواء أكانت هذه المناهج الوصفيَّة البِنيويَّة التي تربَّعت على عرش الدِّراسات اللُّغويَّة الحديثة، زمنًا ليس بالقصير منذ أنْ أصَّل معطياتَه اللُّغوي السويسري(دي سوسير) في أوائل القرنِ العشرين، أم كانت هذه المناهج التَّوليديَّة التَّحويليَّة، أحدث المناهِج اللُّغويَّة الحديثة وأدقِّها، والذي نَالَ من الشُّهرةِ والذُّيُوعِ والاهتمام قدرًا كبيرًا في الرُّبعِ الأخير من القرنِ العشرين"[5].

وإذا نظرنا في تأمل وإمعان وجدنا أنَّ البحثَ في علاقة التُّراث اللُّغويِّ العربيِّ بالدَّرسِ اللِّسانيِّ يُعدُّ من أهم القضايا التي يتمحور حولها الدَّرس اللِّسانيُّ المعاصر، ذلك أنَّ هذه القضية ترتبط بشكلٍ أساسيٍّ" بإشكاليَّة

الأصالة والمُعاصرة في الفكر اللُّغويّ الحديث، ويطرح علينا تناول هذه الإشكاليَّة جملة من الأسئلة المنهجيَّة منها على سبيل التَّمثيل لا الحصر:

- كيفَ حاولَ اللُّغويُّون العربَ المحدثون إعادةَ قراءةَ التراث اللُّغويّ العربيّ ؟

- ماهي مميّزات النَّظريَّة والمنهجيَّة ؟

- ماهي علاقَة إعادة قراءة التُراث اللُّغويّ بالنَّظرية اللِّسانيَّة العامَّة ؟

- ماهي أبعادة إعادة القراءة نظريًّا ومنهجيًّا ؟ وما إمكاناتُها وحدُودها ؟ "[6].

ونتيجة لذلك، فقد اتَّخذ البحث في العلاقة بين الفِكر اللُّغويّ العربيّوْ القديم ونظيره اللِّسانيّ المعاصر منحًى يختلف عمَّا كان مُنتظرًا منه، حيثُ" تمَّ في إطار ما أصبح شائعًا تحتَ عبارة إعادة قراءة التُّراث اللُّغويّ، أو إعادة التَّشكيل؛ أي تأويل الموروث اللُّغويّ العربيّ وفهمِهِ فهمًا جديدًا في ضوءِ ما تقترحُه اللِّسانيَّات من نظريَّات، وبالتَّالي باتت قضايا اللِّسانيَّات جزءًا من معضلة فكريَّة أكبر هي مشكلة الأصالة والمُعاصرة"[7].

بناءً عليه، فإنَّ" ما تقدِّمُه لسانيات التُّراث يجعل أصالة التُّراث العربيّ مرتبطة أساسًا بهذا الشَّكل من المُقارنة، وهذا يعني أنَّه لا وُجودَ للتُّراثِ اللُّغويّ العربيّ ولا لأصالتِهِ إلاَّ بالارتباط المُباشِر بالنَّظريَّات اللِّسانيَّة الحديثة"[8]. والواقع أنَّ" أصالة الفكر اللُّغويّ العربيّ ليستْ مُرتبطة بمدى ملاءمتِها بما تُقدِّمُه النَّظريَّات اللِّسانيَّة الحديثة، إذ إنَّ اللِّسانيَّات ليست مقياسًا لتقويمِ أصالة التَّفكير اللُّغويّ العربيّ، بل إنَّ أصالة هذا الفكر مُرتبطة- أساسا- بالإطار الحضاريّ العربيّ الإسلاميّ، وبالشُّرُوط التَّاريخيَّة التي وَجَّهت التَّفكير اللُّغويّ العربيّ في المسار الذي سار فيه بكل الملابسات والأبعاد المعروفة"[9].

وكما لا يخفى على أهلِ التَّدقيق والتَّحقيق فإنَّ مقاربة التُّراث اللُّغويّ العربيّ من منظورٍ لسانيّ يستلزم قطعا طرح جملة من الإشكالات المنهجيَّة؛ أهمُّها على الإطلاق:ما علاقة الفكر اللُّغويّ العربيّ القديم بالدَّرسِ اللِّسانيّ الحديث ؟ ذلك أنَّنا" إذا تناولنا- مثلاً- المستوى النَّحويّ لهذا التُّراث اللُّغويّ، فإنَّنا نعرفُ أنَّه يُشكِّلُ منظومة مرجعيَّة خاصَّة بالثَّقافة العربيَّة الإسلاميَّة القديمة، إنَّه نسق فكريٌّ وُضع في فترة تاريخيَّة مُحدَّدة نتيجة عوامِل مُعيَّنة، وقام على أسسٍ فكريَّة مثعيَّنة باعتباره جُزءًا من بِنية ثقافيَّة عامَّة؛ هي الثَّقافة العربيَّة بمُختلف مُكوّناتِها الحضاريَّة(فكريَّة واجتماعيَّة ودينيَّة وسياسيَّة)، غير أنَّ تعدُّد القراءات يُفقِد التُّراث اللُّغويَّ العربيَّ خصوصيَّته الحضاريَّة، وذلك عندما نجعلُهُ قابِلا لأنْ يُصاغ حاضرًا ومُستقبلًا في أيّ نظريَّة لسانيَّة ممكنة اليوم وغدا، ما تنتهي إليه القراءة أنَّه كلَّما ظهرت نظريَّة لسانيَّة جديدة فإن النَّحو العربيَّ يكون قادرا على احتوائها"[10].

وسواء أكان الأمر هيمنة للتُّراث أم تأثيرًا للدَّرس اللِّسانيّ، فإنَّ ذلك لا يخلو من آثارٍ سلبية- حسب رأيّ مصطفى غلفان- لأنَّ الهيمنة- حيثما وُجِدت-" تتحوَّلُ مع التَّاريخ إلى معرفة ثابِتة قويَّة تُشكِّلُ بدورها مصدر سُلَطٍ أخرى ينتُجُ عنها في النِّهاية استفحال العوائق وتجذُّرها في عُمقِ الفكرِ السَّائد، ومن ثمَّة تُصبح كلُّ مُحاولة تجديد أو تغيير في حاجة لقوَّة كبيرة لإزالة الأفكار السَّائدة أوَّلاً، ولطرح إشكالات جديدة تُلائم القضايا الموجودة؛ أي ما ينبغي أن يكونَ ثانِيا"[11].

أمَّا التَّأثير فهو" بمثابة السَّند والأساس لظواهر الإيصال والتَّواصُل، يخترق الزَّمان والمسافات ليربط بين وحدات في شكل أفراد ومؤلَّفات ومفاهيم داخل وسط ممتد وشاسِع"[12].

ولتجاوُز إشكاليَّة التَّوفيق بين الفكر اللُّغوي القديم والفكر اللِّسانيّ الحديث، فإنَّه يتعيَّن" القيام بنوعٍ من النَّقد المزدوج؛ نقد الموروث والمستورد وتمحيصها على حدّ سواء؛ أي أن ننظر بفكرٍ ناقد للتراثين العربي والغربي[13]:

أمَّا نقد التُّراث اللُّغويّ العربيّ، فيجب أن يتمَّ في إطار التَّعامُل معه، والتَّعامُل لا يعني التَّبنِّي أو الرَّفض أو التَّوفيق، وإنَّما نقصد الاطلاع على التُّراث باعتباره مرحلة لغويَّة ذات سمات متميّزة في مسارٍ طويلٍ للفكرِ اللُّغويّ الإنسانيّ عامَّة والفكر اللُّغويّ العربيّ خاصَّة، والتَّعامُل المُتوخى يكمن في النَّظر لهذا التُّراث كما هو، بعيدًا عن الاسقاطات النَّظريَّة والمنهجيَّة الظَّرفيَّة التي تنظر للتراث من خلال هذا النَّموذج اللِّسانيّ أو ذاك كما يفعل الخطاب التَّوفيقي، أو لمجرَّد نقده لأنَّ الفكر الغربي انتقد تُراثهُ وهو يُؤسِّس للسانيات العامّة[...] والتَّعامُل النَّقدي بهذه الطَّريقة يصدقث أيضا على التَّعامُل مع التُّراث اللُّغويّ العربيّ"[14].

بناءً على ما سبق ذكره؛ فإنَّ البحث اللِّسانيّ العربي الحديث" مدعوٌ إلى التَّكامُل قصدَ خلق وعي لغوي يتجاوز حالة الغُربة التي تعرِفُها اللِّسانيَّات في ثقافتنا اللُّغويَّة، وليس بإمكانِ أيّ أحدٍ أن يدَّعيَّ العكس حتى ولو وجدنا تطبيقاتٍ عربيَّة لأحدث النَّظريَّات اللِّسانيَّة، ولا نعني بالتَّكامُل تلفيق النَّماذج وتهجينِها، وإنَّما نقصد بذلك الاستفادة المُتبادلة بينها فيما يُتوصَّلُ إليه من نتائج حولَ اللُّغة العربيَّة"[15].

2- إعَادَةُ قِرَاءَةِ الفِكْرِ اللُّغويّ العَرَبِيّ القَدِيمِ مِنْ مَنْظُورٍ لِسَانِيّ حَدِيثٍ: الوَاقِعُ والمَآلاتُ

لا يخفى على كلّ ذي نظر أنَّ البحث اللِّسانيّ الحديث في الوقت الرَّاهنِ يفرضُ علينا" إعادة طرح الإشكال الايبستمولوجي على أساس عدم وضوح المعالِم المنهجية فيما كرَّسه اللُّغويون العرب قديمًا وحديثًا والتَّفكير في سُبُل تفعيل جُهود اللُّغويين في إطار مشروع بحث تأسيس يأخذ بعين الاعتبار بُعدين أساسيين:

- الاشتغال على الموروث اللُّغوي في الجوانِب التي جسَّدت مظاهِر الفكر النَّظري في بُعدِه الشُّمولي، وهو ما يعني تجاوُز ما قد يُمثِّل الخصوصيَّة العربية، ومُحاولة استخراج المسائِل العامَّة منه ويُمكن أن يتمَّ التَّركيز على سبيل المثال على مظاهر النَّحو العام في الدِّراسات النَّحويَّة العربية، والتي قد تنطبق على أنحاء لُغات أخرى ونعتبرها من الجوانِب التي قد تُبرز المستوى التَّجريدي الذي وَصلت إليه المعرفة اللِّسانية العربية، وهذا علمًا أنَّ الطبيعة التَّجريديَّة تُعدُّ مقياسًا لارتقاء الدِّراسة العِلميَّة إلى مستوى النَّظريَّة.
- البحث فيما يجمع بين كل الدِّراسات اللُّغويَّة العربية في التَّصوُّر، والمفاهيم والاتِّجاه وذلك في مُحاولة تتَّبع منطق الفكر اللُّغوي عند العرب في نظرتِهم إلى اللُّغة بهدف إعادة رسم الإطار الايبستمولُوجي للدَّرس اللُّغويّ العربيّ"[16].

هذا وتتجلَّى" القطيعة الحاسِمة بين اللِّسانيات والفكر اللُّغوي العربي القديم في المُتطلبات النَّظريَّة والمَنهجيَّة التي طرحتها اللِّسانيات والمُتعلِّقة أساسًا بتحديد الموضوع(Obet) وضبط المفاهيم والأدوات الإجرائيَّة، وتكوين مصطلحيَّة خاصة بها، فضلًا على الرَّغبة المنهجيَّة في استقلاليَّة اللِّسانيات ذاتِها، والاستفادة من النَّتائج المُحصَّل عليها في العلوم الأُخرى، سواء أكانت عُلومًا إنسانيَّة أم عُلومًا دقيقة، ومن شأنِ التَّساؤلات المنهجيَّة حول علاقة الفكر اللُّغويّ العربيّ القديم باللِّسانيَّات أن يسمحَ بالوُقوفِ على مظاهرِ الائتلافِ والاختلاف بينهُما، ويسمح

باستخلاص ما قَد يُشكِّل قاعِدة انطلاق من الفكر القديم نفسه نحو بدائلٍ نظريَّة أو منهجيَّة جديدة كما حصل في أوروبا، فنحنُ نعلمُ أنَّ اللِّسانيَّات الوصفيَّة في الثَّقافة الغربيَّة تأسَّست على أنقاضِ النَّحو التَّقليدي وعلى رفض رفض المنهج المُقارن والمنهج التَّاريخي لتُصبح منذ بداية القرن العشرين نموذَجا للمقاربة العلميَّة في دراسة اللُّغة واللُّغات[...] أمَّا في الثَّقافة اللُّغوية العربيَّة الحديثة؛ فإنَّ اللِّسانيات ليست استمرارًا للبحث اللُّغويّ العربيّ القديم، بل وردت إلينا نتيجة الانفتاح المعرفي الذي عرفه العالم العربي منذُ منتصف القرن التَّاسع عشر"[17].

هذا وتكشِفُ لنا المُتابعة الدَّقيقة لما قام به الدَّارسُون المحدثون المهتمُون بالتُّراث اللُّغويّ العربيّ عن عمق فهمِهم وإدراكِهم لمضامين النَّظريَّة اللِّسانيَّة وإدراك غير واضحٍ لها بسبب تداوُلهم إيَّاها تداوُلاً حدسيًّا وتلقائيًّا، متناسين- في حالاتٍ كثيرة- مصادرها الفكريَّة والأسس النَّظريَّة والمنهجيَّة التي تقومُ عليها، ثمَّ إنَّ ما تعتبرُه القراءة اللِّسانيَّة مفاهيم بسيطة مثل: مفهومِ العاملِ، ومفهومِ الإحالةِ، ومفهومِ البِنيةِ العميقةِ، والبنيةِ السَّطحيَّةِ، ومفهومِ التَّحويلِ، وغيرِها من المفاهيمِ التَّوليديَّة هي في العُمقِ غير ذلك، حيثُ إنَّ المفاهيم اللِّسانيَّة الحديثة ترتبط في جوهرِها بمبادئ منهجيَّة على جانب كبير من التَّعقيد النَّظريّ باعتبارِها جزءًا من مجموعة من الإشكالات المُختلِفة[18].

وفي هذا السِّياق يُمكن القول بأنَّ إعادة قراءة التُّراث اللُّغويّ العربيّ القديم يُحتِّمُ علينا أنْ نُميِّزَ بين موقفين اثنين لا يُمكن الاستغناء عنهما:"

- **موقف حضاري:** تكون القراءةُ فيه، فعلًا وسيلة تكفلُ لنا التَّعرُّف على ذواتِنا حضاريًّا، وتسمحُ لنا بإبراز خصوصياتِنا أمامَ تحدِّيات العصر المُتعدِّدة، وفي هذا الاتِّجاه تُعتبرُ القراءة وسيلة ناجعة للتَّعريف بالتُّراث اللُّغويّ العربيّ، لا باعتباره جزءًا من تاريخ الفكر العربي فحسب، وإنَّما باعتبارِه أيضًا محطَّة تاريخيَّة في مسار الفكر اللُّغويّ الإنسانيّ لا يُمكن تجاهُلها.
- **موقفٌ علميّ:** حيثُ ينبغي أن يُنظر إلى التُّراث على أنَّه نتاج معرفي مُحدَّد بإطار تاريخي وثقافي، يُوضِّح مصادره الفكريَّة، ويرسُمُ الخطوات والمراحِل التي اتَّبعها لتحقيق جملة من الأهداف الفكريَّة والاجتماعيَّة والسِّياسيَّة، يقتضي منَّا أن ننظر إلى التُّراث اللُّغويّ العربيّ باعتبارِه نتاج مرحلة من مراحِل الفكر الإنساني التي تفاعلت مع مراحل أخرى"[19].

بناءً عليه، فإنَّه يجب" التَّفريق بين طبيعة العمل اللِّسانيّ باعتبارِه مُمارسَةً وبين البحث اللُّغويّ بصفتِه إسهامًا حضاريًا"[20].

إنَّ من أهم العوائق المطروحة في سبيل إعادة قراءة التُّراث اللُّغويّ العربيّ هو غياب المنهجيَّة العلميَّة، وكذا غياب الإشكاليَّة[*]؛" فكلُ باحِثٍ لسانيّ يُعيد قراءة التُّراث اللُّغويّ العربيّ بحسب مستوى استيعابِه للنَّظريَّات اللِّسانيَّة الحديثة التي تعرَّف عليها ومدى تمرُّسِه عليها واستعدادِه المعرفيّ وقُدراتِه الفكريَّة ومهاراتِه التِّقنيَّة وتجربيتِه الخاصَّة في فهمِ المقروء من التُّراث، ممَّا يسمح له بأن يكون في مقدوروُه تأويل التُّراث على هذه الدَّرجة من الاتقان أو تلك"[21].

إنَّ أوَّل ملحظ يُمكن تسجيله عن مُقاربة التُّراث اللُّغويّ العربيّ في ضوء الدَّرس اللِّسانيّ الحديث هو أنَّ" المنهجيَّة المعروفة بالقراءة أو إعادة القراءة، لا تُجيب بالتَّحديد عن جُملة من الأسئلة منها: ماذا نقرأ ؟ وكيف

نقرأ في ضوء ما نقرأ ؟ إنَّها أسئلة تجعل الكتابة اللِّسانيَّة القرائيَّة لا تستند إلى أساسٍ نظريٍّ أو منهجيٍّ مُحدَّد لعدم استناد القراءة نفسها إلى وضوح ابستمولوجي محدَّد في غياب منهجيَّة واضحة المعالِم"[22].

هذا وتعكس إشكاليَّة إعادة قراءة التُّراث اللُّغويِّ العربيِّ من منظورٍ لسانيٍّ حديثٍ" التباسًا واضحًا بين التَّحليلِ اللِّسانيِّ كما هو منصوص عليه في اللِّسانيَّات الحديثة بمختلف مشاربِها النَّظرية والمنهجية والتَّحليل اللِّساني لمضامين التراث اللغوي العربي بإعادة تأويله وفهمه من جديد في ضوء ما تقدِّمُه النَّظريات اللِّسانية من تصوُّرات جديدة"[23].

وتتنزَّل فكرة إعادة قراءة التراث اللُّغويِّ العربيِّ القديم في ضوء التَّحليل اللِّساني الحديث" منزلة ذات بُعد حضاري، تقوم على أساس استرداد هذا التراث لبريقه بحمله على المنظور الجديد في مُحاولة جادَّة لتأسيس الحاضر والمستقبل على أصول الماضي، وتأصيل البحث اللِّسانيِّ المعاصر في الظَّاهرة اللُّغويَّة العربيَّة، أو بِعبارة أخرى البحث في أُصول الفكر العربي وإقامة(لجينالوجيا) هذا الفكر، وبهذا المعنى وحده يبرز الاهتمام بالتراث، وبه يصبح التراث معاصرا لنا"[24].

وبناءً على أطروحة التَّطوُّر- في مُقابِلِ أُطروحة القطيعة- وفي ظلِّها اقترح الباحث" أحمد المتوكل" ثلاثة مراحِل رئيسيَّة لإعادة قراءة التُّراث اللُّغويِّ العربيِّ القديم هي[25]:

أوَّلا: استخلاص أهم مقوِّمات التَّنظير العربي للدلالة من مُختلف علوم اللغة العربيَّة.

ثانيا: تحديد معالِم منهجيَّة عامَّة لمقارنة النَّظريَّة الدَّلاليَّة العربيَّة القديمة بالنَّظريَّات اللِّسانيَّة الحديثة خاصَّة منها النَّظريات الموجَّهة تداوليًّا، مثل:" نظريَّة الأفعال الكلاميَّة" في ما يُسمَّى فلسفة اللُّغة العاديَّة" ونموذج" الفرضيَّة الإنجازيَّة" الموجودة في النَّظريَّة التَّوليديَّة التَّحويليَّة، ومُختلف النَّظريَّات الوظيفيَّةبالتَّركيز على نظريَّة النَّحو الوظيفيِّ.

ثالثا: مُحاولة استكشاف إمكانات عقد حوار معرفي بين النَّظريَّة الدَّلاليَّة العربيَّة المُستخلصة، والنَّظريَّات التي قُورِنت بها من حيثُ بيَّنا على الخصوص مدى الاستثمار المتاح للنتاج اللُّغويِّ العربيِّ القديم في التَّنظير اللِّسانيِّ الحديث بوجهٍ عام.

وهنا ينبغي أن نُشير إلى أنَّ أغلب المُحاولات التي سعت إلى مُقاربة التُّراث اللُّغويِّ العربيِّ من منظور لسانيٍّ،لم تستوعب بعد أبعاد منطلقين أساسيين هما[26]:

1- أنَّ اللِّسانيات منظومة تصوُّريَّة ومفاهميَّة ومصطلحيَّة مُختلفة عمَّا جاء في التُّراث اللُّغويِّ العربيِّ القديم.
2- لم تستوعِب أنَّ التَّحليل اللِّساني يتمثَّل في تحليل بِنيات الألسن الطبيعية بمباشرتها في ضوء فرضيات عامة ووفق نموذج نظري مُحدَّد.

حملا على ما مرَّ يُمكن القول:" إنَّ توظيف اللِّسانيَّات في دراسة التُّراثِ اللُّغويِّ العربيِّ أمرٌ متسحبٌ وأنَّ دراستَهُ مهمَّة تاريخيَّة لا مجال للتملص منها لكتابة تاريخ يليق بمكانة هذا التراث وقيمته الحضارية كحلقة في مسار الفكر اللغوي الإنساني الذي خرجت من أرحامِه اللِّسانيات الحديثة، غير أنَّ البحث في هذه الوجهة المعرفية مهما كان مفيدًا وجادًا في الكشف عن إسهام التراث اللغوي العربي ضمن مسيرة التراث الإنساني لا

يُسهِم بشيء في تطوير الدرس اللساني العربي المُتعلق بدراسة اللغة العربية أو تجديده، والبحث في اللغة العربية ذاتها شرط إمكان اللسانيات العربية وتأسيسها على أسس علمية كونية"[27].

3- الاتِّجاهات المُعاصرة في قراءة التُّراث اللُّغويّ العربيّ:

سار البحث اللِّسانيُّ العربيُّ في اتِّجاهين أساسيين هما:

الاتِّجاه الأوَّل: يُسمَّى بلسانيات الظَّواهر: وقد تجسَّد هذا الاتِّجاه في العربية الحاليَّة، إلاَّ أنَّ عددًا قليلا منها اهتم بنحوِ اللُّغة العربيَّة القديمة، وهذا الاتِّجاه برمته غير منتشر على كلِّ حالٍ في الوطن العربيّ، بل إنَّ أغلب ممثليه ممَّن يتواجد في بلاد الغرب أو ممَّن درس هناك.

الاتِّجاه الثَّاني: يهتم هذا الاتِّجاه بدراسة التُّراث النَّحويّ/ اللُّغويّ/ البلاغيّ، وقد اقترح أصحاب هذا الاتِّجاه إجراء قراءات متعدِّدة لهذا التُّراث، وهذه القراءات على نوعين:

1- قراءات تقف عند شرح المادَّة الموجودة في التُّراث اللُّغويّ العربيّ وتنظيمها.
2- قراءات تُحاوِلُ- قدر الإمكان- أن تنتقِل ممَّا هو موجُود في التُّراث اللُّغويّ العربيّ بغية عصرنتِه والخُروج به إلى الحاضر والمُعاصر[28].

والذي يُفهم من هذه القراءتين أنَّ" القراءات من النَّوع الأول نفهمها على أنَّها مُساهمة في التَّعريف بالتُّراث وإحيائِه وتسهيل الإطِّلاع عليه، والقراءات من النَّوع الثَّاني نُريدُها مُساهمة في تاريخ الفكر اللُّغويّ العربيّ"[29].

وأيًّا كانت نوعيَّة القراءة المُتَّبعة في التُّراث، فإنَّ هُناك ثلاثة أخطاء منهجيَّة وقعت فيها هذه القراءات في تصوُّرِها للتُّراث اللُّغويّ العربيّ القديم وعلاقته بالدَّرس اللِّسانيّ الحديث، منها[30]:

1- الاعتقاد بأنَّه لابدَّ من توظيف التُّراث في بناء نحو يصف اللُّغة العربية.
2- عدم إمكانية توظيف التُّراث في نحو اللُّغة العربية الحاليَّة؛ لأنَّ ذلك سيُؤدِّي حتمًا إلى الخلط بين نسقين مُختلفين.
3- الاعتقاد بأنَّ الآلة الواصِفة للغة العربية الحاليَّة، أو القديمة يحتاج ضرورة إلى مفاهيم القدماء وأصولهم، أو بِعبارة أخرى إلى الفكرِ النَّحويّ القديمِ.

وقد صنَّف الباحث المقدور" مصطفى غلفان" إعادة قراءة التُّراث اللُّغويّ العربيّ القديمِ إلى ثلاثة أصناف هي[31]:

✓ **من حيثُ الموضوع:** وفيها نميِّز بين القراءات التَّاليَّة:

1- قراءة تتمحور حول التُّراث اللُّغويّ العربيّ في كُلِّيتِه وشموليته باعتبارِه تصوُّرات ومصطلحات وطرائق تحليل عامة في دراسة اللُّغة العربية، وتسعى هذه القراءة" وفي ضوء مقولة التراث عمومًا البحث عن النَّظريَّة اللُّغويَّة عند العرب، لا من حيثُ هي تقنيات نحويَّة وصرفيَّة وبلاغيَّة ومعجميَّة، وإنَّما من حيثُ هي تنظير للظاهرة اللِّسانية عُموما"[32]. ويُطلق على هذا الضرب من القراءة" القراءة الشمولية ".
2- قراءة تتمحور حول قطاع مُعيَّن من التُّراث اللُّغويّ كأن يتمَّ تناوُل المستوى النَّحوي أو الصَّرفي أو الدَّلالي أو البلاغي أو علم البيان أو المعاني باعتبارِها مستويات تحليل تشكل في حدِّ ذاتِها نظرية محدَّدة المعالم

تقوم على مبادئ منهجيَّة خاصَّة بها، ويُسمَّى هذا النَّوع من القِراءة- حسب غلفان- بـــ" القراءة القِطاعيَّة"، ويهتمُّ هذا الصِّنف بمستوى معيَّن أو مجال معيَّن من التُّراث اللُّغويّ.

3- قراءة تتمحور حول شخصية لغويَّة عربيَّة قديمة يُدرس فِكرُها اللُّغويُّ وطريقة تصوُّرها وطيفيَّة تناولِها لقضيَّة اللُّغة العربية في مجال من مجالات الفكر اللُّغويّ العربيّ القديم، كأنْ يتناول فكر الخليل(ت175هـ) أو سيبويه(ت180هـ) أو ابن جني(ت392هـ) أو الجرجاني(ت471هـ)، أو غيرهم من النُّحاة واللُّغويين العرب، ويسمَّى هذا النَّوع من القراءة بـــ" قراءة النَّموذج".

✓ **من حيثُ الغاية:** يسعى بعض دارسي التُّراث إلى إبراز قيمة التُّراث العربيّ وإعطائِه المكانة التي يستأهِلها في ضوءِ الدَّرسِ اللِّسانيّ الحديث، وتتَّفِق أغلب الكتابات اللِّسانيَّة حولَ هذا المُنطلق المركزي، لكنَّها في المُقابِل تختلِف حولَ الوسائل المُتَّبعة في ذلك، وفي ما يجب أن تنتهي إليه هذه القراءة أو بالأحرى إعادة القراءة من نتائج، أو ما تهدِف إليه هذه القِراءة من إعادة قراءة للتُّراث اللُّغوي العربي في ضوء النَّظريَّات اللِّسانيَّة الحديثة، ويُمكن من حيثُ الغاية تقسيم الأبحاث المُنخرطة في إطار المشروع الفكري العربي الحديث المُهتم بإعادة قراءة الفكر اللُّغويّ العربيّ إلى:

1- قراءة تمجِّد التُّراث اللُّغويّ العربيّ وتُقدِّسه، وتُحيط به هالة من التَّقدير والإعجاب؛ ذلك أنَّ الفكر اللِّسانيَّ العربيَّ بكلِّ بساطة أسبق تاريخيًّا من النَّظريَّة اللِّسانيَّة الحديثة؛ لأنَّ" العربَ بحكم مميِّزات حضارتهم وبحكم إندراج نصِّهم الدِّيني في صُلبِ هذه المميِّزات قد دُعُو إلى تفكُّر اللغة في نظامها وقدسيتها ومراتِب إعجازِها، فأفضى بهم النَّظر لا إلى درسٍ شموليٍّ كونيٍّ للغة فحسب، بل قادهُم النَّظر أيضًا إلى الكشفِ عن كثيرٍ من أسرار الظَّاهِرة اللِّسانيَّة ممَّا لم يهتدِ إليه البشريَّة إلاَّ مؤخَّرا؛ بفضلِ ازدهار علوم اللِّسان منذ مطلع القرن العشرين"[33].

2- قراءة إصلاحيَّة تروم تخليص النَّحوِ العربيّ من الشوائبِ العالِقة به، نحو: التَّجريد والتَّعليل والحذفِ والعامِل والتَّقدير[...] ومن أهم الكتابات التي تُمثِّل هذا الاتِّجاه ما أورده البحاثة" تمَّام حسَّان" في كتابه" اللُّغة العربيَّة معناها ومبناه".

3- قراءة تفاعليَّة تُحاوِلُ إعطاء النَّظريَّة اللِّسانيَّة العربية القديمة مكانتها المناسبة في إطارٍ مرجعيٍّ يتمثَّل في الفكر اللّغوي الإنسانيّ بصفةٍ عامَّة لخلقِ نوعٍ من التَّفاعُل بين الفكر اللُّغويّ العربيّ القديم والنَّظريَّات اللِّسانيَّة المعاصرة، هذا التَّفاعُل قائم على أساس الأخذ والعطاء والاقتراض والقرض بينهما، وتهدف القراءة التَّفاعليَّة- حسب أحمد المتوكل" إلى تحقيق ثلاثة أهداف متناسقة ومتكاملة هي:"

أ- صوغ النَّظريَّات القديمة في قالبٍ جديدٍ يُتيحُ المقارنة بينهما وبين الحديث من النَّظريَّات؛

ب- تطعيم النَّظريَّات اللِّسانيَّة الحديثة العامَّة بروافدٍ نظريَّة جديدة قد تُثبِتُ ما اتُّفِق عليه في الغربِ وقد تدحضه؛

ج- خلق نموذج لغوي عربي أو عِدَّة نماذِج يضطلِعُ بوصفِ اللُّغة انطلاقًا من النَّظريَّات القديمة بعد أنْ تُقوْلَبْ وتُمحَّص في إطار النَّظريَّة اللِّسانيَّة، وأن تحتك بما تفرع ويتفرَّع عنها من نماذجٍ لغويَّة"[34].

✓ **من حيثُ المنهج:** يمكن القول هنا:" إنَّ القراءة بمعنى إعادة النَّظر في فكرٍ قديم قصدَ فهمِ وتقييم جديدين تقوم على المقارنة بين فكرين: فكر لغوي قديم وفكر لساني حديث سواء أصُرِّح بهذه المقارنة أم لم يُصرَّح بها، فالقراءة تقتضي حتمًا تواجُد عنصرين هما: التُّراث اللِّسانيّ العربيّ والنَّظريَّات اللِّسانيَّة الحديثة، ولا تُقدِّم الكتابات المُندرِجة في إطار لسانيَّات التُّراث أيَّ تصوُّر للمنهج المتَّبع في القراءة بل إنَّ لكِ باحثٍ

طريقته وأدواته الخاصَّة به التي يسير عليها في تأويله وفهمِه الجديدين للتُّراث اللُّغوي العربي في ضوء اللِّسانيات"[35].

4- لسانيات التراث في ضوء المُقَارَبَةِ الوصفيَّة لتمَّام حسَّان:

حاول لسانيو التُراث" إعادة قراءة التُّراث اللُّغويّ العربيّ، وبالخصوص ما أُلِّف في مجال فقه اللُّغة والنَّحو والبلاغة، وذلك بغرض استنطاقِه للكشف عن بنية التَّفكير اللِّساني عند العرب القدامى، والتَّأكيد على سبقِهم إلى إثارة القضايا الأساسيَّة التي تُحاول اللِّسانيات الغربية الإجابة عنها، وممَّا يُدعِّم هذه الفكرة أنَّ عددا من المفاهيم التي كرَّستها النَّظريَّات الغربية نجدُ لها أثرًا فيما تطرَّق إليه النَّحويُّون واللُّغويُّون العرب، وهو الأمر الذي يُفسِّر في تصوُّر البعض كون أصولها الأولى عربية، وهذا ما يراه بعض الباحثين الذين يتحدَّثون مثلاً عن أُصول النَّظريَّة التَّوليدية في التراث اللُّغويّ العربيّ"[36]. يقول الباحث" حافظ إسماعيلي علوي" موضحًا ذلك:" وما إنْ رَسَّخت هذه النَّظرية أقدامها على خريطة البحث اللِّسانيّ، حتى تهافت عليها لسانيُو التُراث في مُحاولة لتلمُس السُّبُل التي يُمكن عبرها الرَّبط بين التُراث اللُّغويّ وبين هذه النَّظريَّة الجديدة"[37].

وأيًّا كانت نوعيَّة القِراءة اللِّسانية المعاصِرة للفكر النَّحوي العربي القديم، فإنَّها تبقى- أي القراءة اللِّسانيَّة- محدودة؛ انطلاقا من أنَّ للتَّحليل اللِّساني المعاصر أصوله ومبادئه وإجراءاته التي تختلِف بصفة كليَّة عن أصول ومبادئ وإجراءات الفكر النَّحوي القديم؛ ذلك أنَّ" عددًا من المفاهيم الوصفيَّة عند القُدماء[كمفاهيم المبتدأ أو الجملة الاسميَّة والنَّواسِخ...] لا يُمكن الاحتفاظ بها في نموذج لساني حالي، كذلك بالنسبة للأصول، فنظرية العامل عند العرب- مثلا- ليست هي نظريَّة العامل النحي نحتاج إليها في الدَّرس الحديث"[38].

وفاقًا لذلك، فإنَّ" إعمال المفاهيم اللِّسانية في التُّراث أصعب من تحصيل هذه المفاهيم في حدِّ ذاتِها وإدراكِها في مصادرِها أو نشرِها بلسانٍ غير اللِّسان الذي اكتُشِفت فيه، أو قُل: إنَّ إعمالها في سياقٍ حضاري غير السِّياق الذي نشأت فيه يُمثِّل مستوى من الفهم والامتلاك أرقى من الفهمِ الأوَّل، وهوَ في صُعُوبتِه يكاد يُضاهي صعوبة ابتكارِها من أصلِها؛ لأنَّه يقتضي من الباحِث إدراكًا لحقائق العلم في خصائصها المُجرَّدة وفي ماهِيتِها مهما كانت المُلابسات الطَّارِئة التي تحفُّ بها أو الأعراض التي تتنكرُ بها"[39].

وقد استطاعت الكتابات اللِّسانية الوصفيَّة العربية المعاصرة" تقديم جملة من الاقتراحات الجديدة المُتعلِّقة بطبيعة البِنيات العربية صوتًا وصرفًا وتركيبًا ودلالةً ومعجمًا، وجاءت بعض هذه الكتابات مضاهية شكلا ومضمونا لنظيرتها الغربية- أمريكيَّة وأوربيَّة- من عِدَّة أوجه، في مُقدِّمتِها تقيُّدها المطلق بشروط وقواعد البحث العلميّ اللِّسانيّ وخطابِه"[40].

ونتيجة لذلك، فقد" أصبحت دراسة اللُّغة العربيَّة محكومةً بجملة من الأصول والمفاهيم النَّظريَّة والمنهجيَّة المضبوطة، فبدُون معرفة الإطار الذي تندرج فيه هذه الكتابة أو تلك، لا يُمكِن بأيِّ حالٍ من الأحوال إدراك طبيعة تحليل المُقدِّمة ونتائجها النَّظريَّة، ولم يعد يُنظر إلى اللُّغة العربية نظرة حرَّة اعتباطيَّة قائمة على التَّأمُّل والانطباع، وإنَّما تتقيَّد المُقاربة بالإطار النَّظري للنَّموذج الذي يشتغِل فيه وتُحاول تطبيقه على اللُّغة العربيَّة مستعمِلةً مجموعة من وسائل الاستدلال والبرهنة على ما تقوم به"[41].

ومن بين الإشكالات التي تُواجه البُحوث اللِّسانية العربيَّة المُعاصِرة ادِّعائها للمنهجيَّة والعلميَّة، وفي هذا الصَّدد يُشير" الفاسي الفِهري" إلى تصوُّر" تمَّام حسَّان" وغيره من اللِّسانيين الوصفيين العرب الذين يَكتفُون بالمُلاحظة الخارجيَّة السَّطحيَّة، دون أن يتَعدَّوا ذلك إلى البحث في عِلَّة وُجود الظَّواهِر، يقول(الفهري):" فتمَّام حسَّان مثلاً، شأنُه شأن الوصفيين، يرفُض العلَّة، ونظريَّة العامِل والإعراب التَّقديري، وعددًا من الأُصول والمفاهيم الموجُودة في التُّراث ويرفُض الخروج من شيء ملاحظ إلى شيء مُجرَّد، بدعوى أنَّ هذه الأشياء، في نظره، ليست من العلم وأنَّ العِلم يجب أن يكتفي بالمُلاحظة الخارجيَّة، والتَّساؤُل عن الكيف ولا يتعدَّى ذلك إلى التَّساؤُل عن علَّة وُجود الظَّواهِر"[42].

فالفكر اللُّغوي العربي في تصوُّر(تمَّام حسَّان):" إمَّا مُعطيات اللُّغة الموصوفة، أو أصول وتأمُّلات، وعلى هذا نضطر إلى التَّفريق بين النَّسق الفكري وبين المُعطيات، ودراسة المُعطيات الموجودة في هذا التراث يُمكن أن تُستعمل لبناء نحو اللُّغة العربية القديمة، ودراسة النَّسق المفاهيمي النَّحوي/ اللُّغوي يهدف إلى التَّأريخ للفكر(أو الابستمولُوجيا)"[43].

ويرى" تمَّام حسَّان" أنَّه حتى وإنْ كُنَّا نُقدِّر ما قامَ به عُلماؤُنا القدامى فهذا" لا يعني مُطلقا أنَّ الأفكار الحديثة التي جاءت بها اللِّسانيَّات منذ بداية القرن العشرين موجودة في تُراثِنا اللُّغويّ، وواضح أنَّ المُقاربات التي تغوصُ بعيدًا بحثًا عن الجُذور التَّاريخيَّة للسانيات ومُطابقتِها للفكرِ اللُّغويّ العربيّ القديم بشكلٍ تلقائيٍّ وسطحيٍّ، لم تستوعِب بعد أو لا تريد أن تستوعِبَ حقيقة التَّحليل اللِّسانيّ المُتمثِّل في تحليل البِنيات اللُّغويَّة وفقَ نموذجٍ نظري مُحدَّد، كما أنَّها لا تُشجِع الثَّقافة اللُّغويَّة العربيَّة على الاهتمام باللِّسانيات واقتحام مجالاتِها بالعُمقِ المطلوب؛ لأنَّ أصحابَها لا يؤمنون ولو زُلزِلت الأرض تحت أقدامِهم بالسَّيرورة التَّطوُّريَّة للمعرفة البشريَّة ولا يُقيمونَ وزنًا للشُّروط التَّاريخيَّة والمعرفيَّة التي تُحدِّد مرجعيَّة الفكر البشري ونسبيتِه"[44].

وقد حاول(تمَّام حسَّان) إبراز أهميَّة مُقاربة الفكر النَّحوي العربي القديم انطِلاقًا من" أهميَّة أن نضع تُراثَنا اللُّغويّ في الإطار المرجعي الفكري الواسع، فليس من المناسب أن يظلَّ تراثنا اللُّغويُّ محصورًا في تطبيقه على ظواهر العربية فحسب دون أن يُوضع في مثقابلة النَّظريَّات اللُّغويَّ' المُتنافِسة التي تُعالِج الظَّواهر التي يُعالِجها هذا التُّراث العظيم"[45].

إنَّ مقاربة الفكر اللُّغوي العربي القديم تقتضي قطعا" الجِد الدَّائِب في تأصيل الدِّراسة اللُّغويَّة العِلميَّة واستكمالِها والاعتماد عليها وحدها في فهم خصائص العربية وتقديم التَّفسير اللُّغويّ الصَّحيح لظواهِرها الصَّرفيَّة والنَّحويَّة بدل تلك التَّعليلات النَّظريَّة والتَّفسيرات المُخترعة والمُتوهَّمة"[46].

كما يقتضي الإنصاف من(تمَّام حسَّان) أن يضع الفِكر النَّحويّ العربيّ القديم" في الدَّرجة الأولى التي يقف عليها زمنه من سلم الرُّقي العقلي، فهو لن يكون إلاَّ في مستوى عصرِه، دقَّةً، وعُمقًا، وسِعةً، لا يستأخِر عن ذلك ولا يستقدِم"[47].

ومن بين أهم الهفوات التي سُجِّلت على الكتابات اللِّسانيَّة الوصفيَّة العربية في نظرتِها للتُّراث اللُّغوي العربي بصفة عامة والنَّحوي بصفة خاصة، هو أنَّهم" أوَّلا: إنَّه نقد لم يكن قائما على رؤية منهجيَّة أو نظرية أو شاملة

للفكر اللغوي العربي القديم، وإنَّما يتعلَّق الأمر بملاحظات متفرّقة تُحاكي في حالاتٍ عديدة ما ورد في الفكر الغربي من نقد للنَّحو الغربي التَّقليدي.

ثانيا: إنَّ نقد النَّحو العربي لم يكن نقدا موضوعيا، بقدر ما كان دفاعا عن المنهج الوصفي ووسيلة لتبرير اللُّجوء إليه.

ثالثا: وقوف الكتابة اللسانية الوصفية العربية عند حدود النَّقد، دون أن تتمكن من تقديم نظرية لسانية بديلة للنَّحو العربي القديم، أو حتى تبلور وتنمي الأفكار اللغويَّ' القديمة، نحو ما هو أفضل لدراسة اللغة العربية.

رابعا: إنَّه نقد عجز عن دحض الأطروحات التَّقليديَّة، بحيث ظلَّت الأفمار اللغوية القديمة هي السائدة، واستمر الفكر النَّحوي العربي القديم مصدرًا أساسيا لكثير من الكتابات الوصفية العربية التي اعتمدت بوعي أو بدون وعي تصورات القدماء ومصطلحاتهم ومفاهيمهم في أسلوبٍ جديد"[48].

بناءً على ما مرَّ ، يُمكن عد محاولة(تمَّام حسَّان) في قراءة التراث اللغوي العربي من أكمل المحاولات الحديثة وأذكاهَا؛ فق استطاع أن" يرسُمَ أبعادَ المعنى الدلالي وتقدح شرارته في النَّحو العربيّ إلى ذلك العهدِ؛ فقد جاز بها صاحبها شرف الاجتهاد في مرجعيات النحو العربي، إذ رَبَأ بنفسه عن الأنس بمراتب التقليد وتعطيل طاقة العقل، فهو من القلائل الذين استطاعوا أن يُقدِّمُوا جهازًا نحويا شاملا يسير بالدَّرس النَّحوي من أشكال المباني إلى دقائق المعاني"[49].

حملاً عليه، تبقى كتابات(تمَّام حسَّان):" رائدةً في سياق اللِّسانيَّات العربيَّة الحديثة؛ لا لأنَّها فقط اختارَت نظريَّة لِسانيَّة مُحدَّدة قاربت من خِلالِها اللُّغة العربيَّة، وإنَّما لتقيُّدِها الصَّارِم بمتطلَّبات المُمارسة اللِّسانيَّة كما ينبغي لها أن تكونَ، وبِمدى قُدرتِها على احترامِ شروط الخِطاب العِلميّ الصَّارِم"[64].

روافد البحث وإحالاته:

(1)- ابن جني(أبو الفتح عثمان ت392هـ)، الخصائص، تحقيق: محمد علي النَّجار، دار الكتب المصرية، القسم الأدبي، المكتبة العلمية،(د ط)، مصر،(د ت)، ج1، ص32.
(2)- عبد القادر المهيري، العربية بين الاستقراء والتَّطوُّر، مركز الملك عبد الله بن عبد العزيز الدَّولي لخدمة اللُّغة العربيَّة، ط1، الرِّياض، السُّعوديَّة، 1435هـ/2014م، ص10.
(3)- عبد السَّلام المسدِّي، التَّفكير اللِّسانيّ في الحضارة العربيَّة، الدَّار العربيَّة للكتاب، ط2، 1986م، ص34-35.
(4)- حافظ إسماعيلي علوي وأمحمَّد ملَّاخ، قضايا إبستمولُوجيَّة في اللِّسانيات، الدَّار العربيَّة للعلوم ناشرون، منشورات الاختلاف، ط، لبنان، الجزائر، 1430هـ/2009م، 271.
(5)- حسام البهنساوي، أهميَّة الرَّبط بين التَّفكير اللُّغويّ عند العرب ونظريَّات البحث اللُّغويّ الحديث في مجالي: مفهوم اللُّغة والدِّراسات النَّحويَّة، مكتبة الثَّقافة الدِّينيَّة،(د ط)، القاهرة، مصر، 1414هـ/1994م، ص6-7.
(6)- مصطفى غلفان، اللِّسانيات العربية: أسئلة المنهج، دار وِردْ الأردنية للنشر والتوزيع، ط1، الأردن، 2013م، ص183.
(7)- المرجع نفسه، ص16.
(8)- حافظ إسماعيلي علوي وأمحمَّد ملَّاخ، قضايا إبستمولُوجيَّة في اللِّسانيات، ص280.
(9)- مصطفى غلفان، اللِّسانيات العربيَّة الحديثة: دراسة نقديَّة في المصادر والأسس النَّظرية والمنهجيَّة، كليَّة الآداب والعُلوم

الإنسانيَّة، جامعة الحسن الثَّاني، عين الشق، سلسلة رسائل وأطروحات رقم04، ص154.
(10)- المرجع نفسه، ص157.
(11)- المرجع نفسه، ص28.
(12)- المرجع نفسه، ص29.
(13)- " الواقع أنَّ الدِّراسة النَّقديَّة للعلوم تحتاج لكي تكون دقيقة وشاملة إلى الرُّجوع إلى ماضي العلم ذاتِه، خُصوصًا والموقف هنا يتطلَّب في أحيانٍ كثيرة عقد مقارنات بين الأسس والمفاهيم القديمة، والأسس والمفاهيم الجديدة، ثمَّ إنَّ المعرفة سواء أكانت علميَّة أو فلسفيَّة أو عاميَّة هي ذات طبيعة تاريخيَّة دومًا، والابستمولوجيا التي نُريد أن تكون نظريَّة علميَّ' في المعرفة لابدَّ لها من تاريخ العلم، تدرسه، لا لذاتِه كما يفعلُ المؤرِّخ، بل من أجلِ الاسترشاد به والاستفادة منه في فهم المشاكِل المطروحة في الحاضر؛ لأنَّ الجديد لا يُفهم إلا بالمقارنة مع القديم، والحاضر لا يُتصوَّرُ إلاَّ بالماضي". محمَّد عابد الجابري، مدخل إلى فلسفة العلوم: العقلانيَّة المتعاصرة وتطوُّر الفكر العلمي، مركز دراسات الوحدة العربية، ط5، بيروت، لبنان، يونيو2005م، ص47.
(14)- مصطفى غلفان، اللِّسانيات العربيَّة الحديثة: دراسة نقديَّة في المصادر والأسس النَّظرية والمنهجيَّة، ص31-32.
(15)- المرجع نفسُه، ص64.
(16)- كريمة سالمي، المرجعيَّة التراثيَّة وأُفق التَّنظير اللِّسانيّ العربيّ، ضمن كتاب: اللِّسانيت العربية رؤى وآفاق، إشراف وتحرير: حيدر غضبان، تقديم: أبو بكر العزاوي، عالم الكتب الحديث، ط1، إربد، الأردن، 2019م، ج2، ص47-48.
(17)- مصطفى غلفان، اللِّسانيات العربية: أسئلة المنهج، ص15-16.
(18)- يُنظر: مصطفى غلفان، اللِّسانيات العربيَّة الحديثة: دراسة نقديَّة في المصادر والأسس النَّظرية والمنهجيَّة، ص151.
(19)- المرجع نفسه، ص164.
(20)- حافظ إسماعيلي علوي وأمحمَّد ملَّاخ، قضايا إبستمولُوجيَّة في اللِّسانيات، ص284.
(21)- مصطفى غلفان، اللِّسانيات العربية: أسئلة المنهج، ص208.
(*)- نتج عن غياب الإشكاليَّة بمعناها الفلسفي والعِلمي والمنهجي" ابتعاد كل الدِّراسات المهتمَّة بإعادة قراءة عن التَّعامُل مُباشرةً مع المُعطيات اللُّغويَّ' المُتمثِّلة في بِنيات اللُّغة العربيَّ'، بحيث يجد مُتتبِّع خطاب لسانيات التُّراث نفسه أمامَ نوعٍ من الإنشاء الأدبي الذي يدور في حلقة مُفرغة لا يعرف بالضبط نتيجة نهايتها". مصطفى غلفان، اللِّسانيات العربية: أسئلة المنهج، ص208.
(22)- مصطفى غلفان، اللِّسانيات العربيَّة الحديثة: دراسة نقديَّة في المصادر والأسس النَّظرية والمنهجيَّة، ص146.
(23)- مصطفى غلفان، اللِّسانيات: أسئلة المنهج، ص100.
(24)- حافظ إسماعيلي علوي، اللِّسانيات في الثَّقافة العربيَّة المعاصرة: دراسة تحليليَّة نقديَّة في قضايا التَّلقي وإشكالاتِه، ص131.
(25)- يُنظر: حافظ إسماعيلي علوي ووليد أحمد العناتي، أسئلة اللُّغة أسئلة اللِّسانيات، حصيلة نصف قرن من اللِّسانيَّات في الثَّقافة العربيَّة، الدار العربية للعلوم ناشرون، منشورات الاختلاف، دار الأمان، ط1، الرِّباط، المغرب، الجزائر، لبنان، 1430هـ/2009م، ص40-41.
(26)- ينظر: مصطفى غلفان، التُّراث اللُّغوي العربيّ واللِّسانيات: المُمكن والمُستحيل، بحث مقدم في المؤتمر الدَّولي الثالث: قراءت معاصرة لقضايا في التراث اللُّغوي والأدبي والبلاغي، جامعة القصيم، كلية اللغة العربية والدِّراسات الاجتماعية، 1440/07/07هـ الموافِق لـ: 2019/03/14م، ص150.
(27)- المرجع نفسه، ص163-164.
(28)- ينظر: عبد القادر الفاسي الفهري، اللِّسانيات واللُّغة العربية: نماذج تركيبية ودلالية، دار توبقال للنشر، ط3، المغرب، 1993م، ج1، ص59-60.
(29)- المرجع نفسه، ج، ص60.
(30)- المرجع نفسه، ج، ص60-61.
(31)- ينظر: مصطفى غلفان، اللِّسانيات: أسئلة المنهج، ص185 وما بعدها. وينظر: مصطفى غلفان، اللِّسانيات العربيَّة الحديثة: دراسة نقديَّة في المصادر والأسس النَّظرية والمنهجيَّة، ص136 وما بعدها.
(32)- عبد السَّلام المسدِّي، التَّفكير اللِّسانيّ في الحضارة العربيَّة، ص33.
(33)- المرجع نفسه، ص26.
(34)- أحمد المتوكل، نحو قراءة جديدة لنظرية النَّظم عند الجرجاني، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرِّباط، المغرب، يناير1977م، ع1، ص91.
(35)- مصطفى غلفان، اللِّسانيات: أسئلة المنهج، ص188.
(36)- كريمة سالمي، المرجعيَّة التراثيَّة وأُفق التَّنظير اللِّسانيّ العربيّ، ج2، ص36.
(37)- حافظ إسماعيلي علوي، اللِّسانيات في الثَّقافة العربيَّة المعاصرة: دراسة تحليليَّة نقديَّة في قضايا التَّلقي وإشكالاتِه، ص

142-143.
(38)- عبد القادر الفاسي الفهري، اللِّسانيات واللُّغة العربية: نماذج تركيبيَّة ودلاليَّة، ج1، ص61 الهامش 35.
(39)- عزُّ الدِّين مجدوب، المِنوال النَّحوي العربي: قراءة لسانيَّة جديدة، دار محمَّد علي الحامِي، كليَّة الآداب، ط1، سوسة، تونس، ديسمبر1998م، ص42-43.
(40)- مصطفى غلفان، اللِّسانيات العربيَّة الحديثة: دراسة نقديَّة في المصادر والأسس النَّظرية والمنهجيَّة، ص223.
(41)- المرجع نفسه، الصفحة نفسُها.
(42)- عبد القادر الفاسي الفهري، اللِّسانيات واللُّغة العربية: نماذج تركيبيَّة ودلاليَّة، ج1، ص58.
(43)- المرجع نفسه، ج1، ص60.
(44)- مصطفى غلفان، اللِّسانيات: أسئلة المنهج، ص16.
(45)- محمَّد عبد العزيز عبد الدَّايم، النَّظريَّة اللُّغويَّة في التُّراث العربيّ، دار السَّلام للطباعة والنَّشر والتَّوزيع والتَّرجمة، ط1، مصر، 1427هـ/2006م، ص3.
(46)- عبد القادر المهيري، نظرات في التُّراث اللُّغويّ العربيّ، دار الغرب الإسلامي، ط1، بيروت، لبنان، 1993م، ص106.
(47)- أمين الخولي، مناهِج تجديد في النَّحو والبلاغة والتَّفسير والأدب، دار المعرِفة، ط1، 1961م، ص72.
(48)- حافظ إسماعيلي علوي وأمحمَّد ملَّاخ، قضايا إبستمولُوجيَّة في اللِّسانيات، ص287 -288.
(49)- صلاح الدين ملاوي، الانتحاء الوظيفي في كتابات الدُّكتور تمَّام حسَّان: نقد وتقويم، ضمن المؤتمر العالمي الخامِس للغة العربية وآدابها، مقاربات في اللِّسانيات والأدبيات بين التَّقليد والتَّجديد، الجامعة الإسلاميَّة العالميَّة، ماليزيا، 7-9 ديسمبر2015م، ج1، ص94.